رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 7- سورة المؤمنون | من الأية 32 إلى 62

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره - 00:00:01

وقال يا قومي اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة - 00:00:30

ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون في هذه الايات - 00:00:54

وما بعدها من قصص الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في ان من قبلك من الانبياء قد اذتهم اممهم فصبروا وقد كذبت الامم انبيائهم - 00:01:24

فتحملوا ذلك فلست في اول من اوذي ولست باول من كذب ولست باول من لم يستجب له بل قبلك الانبياء كذلك وفي هذا عظة لامة محمد صلى الله عليه وسلم - 00:02:00

في ان يعتبروا في السابقين وباالامم قبلهم فيأخذ الحسن من افعالهم ويجتنب السيئ من ذلك ويعتبر بما فعل الله جل وعلا بهم فقد نصر وايد اولياءه وخذل وعذب اعداءه وهو جل وعلا الفعال لما يريد - 00:02:35

وهو القوي العزيز ووعده جل وعلا حق فقد وعد بكتابه العزيز بنصر اوليائه فقال جل وعلا انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقد اظهر جل وعلا - 00:03:20

ما وعد به فنصر رسله ومن اطاعهم وخذل اعداءه وعذبهم في الدنيا قبل عذاب الاخرة ولا عذاب الاخرة اشد فقال جل وعلا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو هنا واو قسم - 00:03:53

واللام واقعة في جواب القسم والله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ونوح عليه السلام هو اول الرسل وقبله كثير من الانبياء والانبياء اولهم اولهم ادم عليه السلام واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم - 00:04:32

واول الرسل نوح واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي قصة نوح وبقائه مع قومه يدعوهم الى الله جل وعلا سنين طويلة عبرة وعظة فنوح عليه السلام كما روي بعث - 00:05:09

لقومه وعمره اربعون سنة ومكث في قومه يدعوهم الى الله جل وعلا قبل ان يغرق جل وعلا المخالفين المعاندين له الف سنة الا خمسين عاما بنص القرآن لبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة - 00:05:44

وبقي عليه الصلاة والسلام بعد الطوفان وبعد ما اغرق الله جل وعلا المعاندين الكافرين ستين سنة فيما روي وقيل اكثر من ذلك فيكون عمره على هذا الف وخمسون سنة اربعون قبل النبوة - 00:06:22

وتسعمائة وخمسون قبل الطوفان وستون بعدها وقيل غير ذلك قيل كان عمره قبل النبوة اكثر من اربعين وقيل انه مكث بعد الطوفان اكثر من الستين فالله اعلم وكان بين نوح وادم - 00:06:57

عدد من القرون يعبدون الله جل وعلا وحده لا شريك له فحصل العلاج والكفر فبعث الله جل وعلا نوحا عليه السلام يدعو قومه الى

توحيد الله وافراده بالعبادة وهذه هي دعوة الرسل - 00:07:27
من اولهم الى اخرهم كلهم يدعون الى توحيد الله جل وعلا لم يختلفوا في ذلك لان هذا مما اجمع عليه قديما وحديثا بانه لا يصح ان يعبد مع الله غيره - 00:08:01
وان اختلفت شرائع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في العبادات في كيفية ادائها وفي مقدارها وفي وقتها وفي صفتها اختلفت في ذلك لكنهم متفقون على الاصل وهو افراد الله جل وعلا في العباد - 00:08:31
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قومي اعبدوا الله يتحبب اليهم ويتقرب اليهم في قوله يا قومي يا جماعتي يتلطف بهم في الدعوة لعلهم يستجيبون وقد بذل عليه الصلاة والسلام - 00:09:02
ما في وسعه في دعوة قومه قال ربي اني دعوت قومي ليلا ونهارا دعاهم عليه الصلاة والسلام في الليل وفي النهار وفي السر وفي العلانية فرادى وجماعات لعل الله ان يهديهم - 00:09:34
ومكث معهم هذه المدة الطويلة لا يدعو عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتى اوحى الله جل وعلا اليه في قوله واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن - 00:10:02
فعند ذلك عيش من استجابتهم ودعا عليهم كما سيأتينا بيان ذلك وقال يا قومي اعبدوا الله وحدوا الله اعبدوه وحده وبين ذلك وعلله بقوله ما لكم من اله غيره ليس لكم معبود سواه - 00:10:26
هو الاله الحق وما سواه باطل ما لكم من اله غيره كالتعليل لما تقدم في قوله يا قومي اعبدوا الله كأن قائلا يقول لم قال لانه ليس لكم من اله غيره. ما لكم من اله غيره - 00:11:02
ما لكم من اله غيره وغيره. قراءتان غيره بالظم اتباعا لمحل اله لان محلها مبتدع مؤخر ويصح اسم على قول والمبتدأ المؤخر محله الرفع. واسم ما كذلك اذا كانت عاملة محله الرفع - 00:11:31
وغيره تابعا للمحل ما لكم من اله غيره تابع للفظ بلفظ الى ولكم الجر المجرور هو الخبر مقدم او خبر ما مقدم افلا تتقون الهمزة للاستفهام والفاء كما تقدم غير مرة - 00:12:11
انها عاطفة على مقدر داخل عليه الاستفهام اجاهلتم فلا تتقون افلا تتقون يعني تخافون الله جل وعلا بعبادتكم غيره افلا تتقون تخافون الله جل وعلا ان يرفع عنكم النعم التي تفضل عليكم بها - 00:12:48
افلا تتقون افلا تقون انفسكم عذاب الله لان بعبادتكم مع الله غيره تعرضون انفسكم للعذاب افلا تكون انفسكم عذاب الله وعذاب من عبد مع الله غيره محقق لا شك فيه - 00:13:22
لان الله جل وعلا اخبر لانه لا يغفر لمن اشرك به ان الله لا يغفر ان يشرك به. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة - 00:13:54
افلا تتقون تلطف في الدعوة الى الله جل وعلا وهم كفار معاندون وهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن سلك سبيلهم من الدعاة الى الله على بصيرة وهم يتلطفون بالدعوة - 00:14:22
ويرى فقون بمن يدعو لهم ولا يشددون عليهم ولا يقسون عليهم في الخطاب كما قال الله جل وعلا لموسى وهارون وقد ارسلهما الى فرعون اللعين اعتى واعصى خلق الله في وقته - 00:14:58
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقال الله جل وعلا لعبده ورسوله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن - 00:15:28
وهذه دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين يلطفون ويترفقون بمن يدعونهم الى الله وهكذا يجب على كل داعية ان يكون رفيقا رحيما لطيفا بمن يدعوه ولا يقسو عليه فينفره - 00:15:56
وقال الملأ الملأ هم الاشراف والكبراء وكثيرا ما يقف في وجه الرسل والدعاة الى الله جل وعلا على بصيرة هم الكبراء والعظماء لانهم يتصورون من جهلهم انهم باتباعهم الرسل تسلب منهم العزة - 00:16:24

والقوة والجبروت وليس كذلك بل تكون عزتهم وقوتهم شرعية مستمدة من الله جل وعلا وثبات لهم في الدنيا وعز لهم في الاخرة. ونصر لهم في الدنيا ونعيم لهم في الاخرة. المتابعة - 00:16:55

لكن من جهلهم يتصورون انهم باتباعهم الرسل يسلب منهم ما هم فيه من العز والتمكين والمال وقال الملأ الكبرى والاشراف الذين كفروا بانه قد يوجد في الكبراء من يؤمن بالله جل وعلا ويتابع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم - 00:17:20

لكن الله جل وعلا بين ان هذا الرد الذي حصل من الخبراء الكفار فقال الملأ الذين كفروا والكفر هو الجحود والانكار كفروا بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم من قومه الذين كفروا من قومه من قوم نوح عليه السلام - 00:17:53

لمن قالوا قالوا ذلك قالوه لاتباعهم هم معرضون معاندون لكنهم خشوا ان يتبع الرسل العامة ان تنقاد العامة للرسل فاخذوا يموهون عليهم ويلقون عليهم الشبه والافتراءات المزعومة حتى لا يتبع الرسل - 00:18:25

كما كان كفار قريش اذا اتى القادم الى مكة حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس بمكة قبل الهجرة اذا اتى القادم الى مكة تلقوه نفروه وخوفوه من سحر محمد - 00:18:59

ومن كلامه الا يسمع منه ولا يقبل منه وانه يفعل كذا ويفرق بين المرء وزوجه وبين الولد وابيه وبين الاخ واخيه. وهكذا حتى ان بعضهم يقول من كثرة ما قالوا لي هممت ان اجعل في اذني القطن - 00:19:24

خشية ان اسمع شيئا من محمد بدون قصد حتى لا يسمع فهم من طبيعتهم الكفار واصحاب الزعامة من الكفرة والفجرة ينفرون العامة عن اتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - 00:19:45

وقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم لانهم يقولون له لا تتبعوا نوح لا تقبلوا منه كان اولئك يقولون لماذا فيعلمون لهم بخمس علل كلها واهية - 00:20:15

خمس شبه يلقونها عليهم خشية ان يستجيبوا لنوح عليه السلام الاولى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم؟ هذا واحد من افرادكم لا ميزة له عليكم وانما هذا قصده ان يترأس ويتكبر عليكم ويتعاظم - 00:20:41

وتكون له القيادة والا فهو رجل عادي لا قيمة له لا يستحق ذلك مثلكم ان كان الواحد منكم قد ارسل فنوح قد ارسل ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم. يطلب الزعامة والقيادة - 00:21:09

لتكون له القيادة والزعامة عليكم وهو لا يستحق هذه الشبهة الاولى الثانية ولو شاء الله لانزل ملائكة الشبهة الثانية يقولون لهم لو اراد الله الا يعبد الا هو وحده ولا تعبد الالهة معه - 00:21:34

يا عم زلمة ملائكة ما يرسل نوح لو اراد الله ان يرسل ما وجد الا نوح رسله يرسل من الملائكة لان الملائكة يجبرون الناس ويرغمونهم لهم مهابة ويخاف منهم فيرغمون الناس على عبادة الله وحده. لكن الله جل وعلا يقولون ما اراد ذلك - 00:22:03

ولو شاء الله ارسال رسول لانزل من السماء لانزل ملائكة يدعون الناس وهذا من جهلهم لان الله جل وعلا من لطفه بعباده ارسل لهم من جنسهم لان الملك لا يستطيع كل ادمي ان يتخاطب معه - 00:22:33

وان يفهم ما يقول وان يسترشد منه؟ لا هذا لا يستطيع الا من قواه الله جل وعلا على ذلك وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والانبياء هم الذين قواهم الله جل وعلا وجعل عندهم الاستعداد للتفاهم والتخاطب مع الملائكة - 00:23:01

ودل هذا على انهم يعترفون بعلو الله جل وعلا فاولئك الكفرة اعرف بالله من بعض الملحدة من بعض من الجهمية ونحوهم الذين ينكرون علو الله جل وعلا وتقدس فانزل والانزال - 00:23:30

من علو لاسفل الشبهة الثالثة قالوا لهم هذا اختلاق ولو كان هذا صحيح لسمعنا بهذا في ابائنا الاولين قالوا ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ما سمعنا ان الله يرسل بشرا - 00:23:58

يدعو الناس ما سمعنا في ابائنا الاولين ان الله امر الا يعبد الا هو وهذا مكابرة لان التوحيد كان من ادم عليه الصلاة والسلام الى قبيل بعثة نوح عليه السلام وكان لا يعبد الا الله وحده - 00:24:24

فلما وجد الشرك ارسل الله جل وعلا نوح عليه السلام وكان وجود الشرك واصله واوله بسبب التصوير قالوا ما سمعنا بهذا في ابائنا

الاولين ما سمعنا بهذا يحتمل ما سمعنا بهذا الذي هو افراد الله بالعبادة - 00:24:51
ما سمعناه او ما سمعنا بهذا بارسال رسول من البشر ما سمعنا بهذا ما خبرنا في الزمن السابق عن ابائنا واجدادنا بان الله يرسل بشرا يدعو الناس وهذا مكابرة والا فالانبياء متعاقبون - 00:25:14
موجودون من زمن من ادم الى بعثة نوح عليه السلام كان الانبياء موجودون ومنهم كما تقدم لنا ادريس عليه السلام كان لابي نوح ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ما اكتفوا بهذه الثلاث الشبه - 00:25:40
اخذوا يروون نوحا عليه السلام بما ليس فيه وبما هو مكابرة وعناد وصفوه بماذا؟ قالوا هذا الرجل لا تطيعونه لانه مجنون ان هو الا رجل به جنة هذا مجنون المجنون يصلح ان يطاع - 00:26:11
يريدون ان ينفروا الناس لانه اتاهم بما يستنكرونه ووصفوه بالجنون عليه السلام ان هو الا رجل به جنة ريحانة جنون فهذا الرجل نفسه لا يدري ما يقول فكيف انتم تتبعونه - 00:26:41
لان المجنون لا يدري ما يقول فهم يقولون ما دام انه هو مجنون لا يدري ما يقول فكيف تتبعونه انتم وهذه هي الشبهة الرابعة الخامسة قالوا لا تستعجلوا لا تستعجلوا - 00:27:05
حتى ان هممتم باتباعه فلا تستعجلوا انتظروا اما ان يصحو من جنونه ويتبين لكم عقله فاتبعوه واما ان يموت في جنونه فتستريحون منه وتربصوا به التربص هو الانتظار وعدم هذا - 00:27:28
جنون اما ان يبرأ منه وينظر في امره واما ان يهلك على جنونه فيستراح من شره فتربصوا به حتى حين حتى اي الى زمن بدون تحديد انتظروا به فترة من الزمن - 00:27:57
بدون ان يحددوا وقت خشية ان يحددوا وقت فيسارع الناس بعد مضي هذا الزمن في اتباعه وقالوا انتظروا به فترة من الزمن ولم يحددوا حتى كلما هموا باتباعه قالوا لهم انتظروا الرجل لم يصحو من جنونه الى الان - 00:28:22
هذه الفترة الطويلة يدعوهم الى الله جل وعلا وعلى تسعمئة وخمسون سنة ولم يستجب له الا القليل وممن لم يستجب ابنه كما روي له ثلاثة ابناء استجاب له اثنان وابى الثالث والعياذ بالله فكان مع الهالكين. كما قص الله علينا ذلك في سورة هود - 00:28:46
ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سعاوي الى جبل يعصمني من الماء الابن الضال والعياذ بالله يقول لن اهلك سارتقي على رأس جبل واسلم من الماء - 00:29:15
سبق له في علم الله الشقاوة والعياذ بالله وحال بينهما الموج وكان من المغرقين والعياذ بالله. وكذلك امرأته لم تستجب له فكانت من الهالكين والعياذ بالله والتوفيق بيد الله جل وعلا والهداية التي هي هداية التوفيق بيده سبحانه وتعالى - 00:29:38
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء عند ذلك دعا عليه الصلاة والسلام قائلا قال ربي انصرني بما كذبوا قال ربي انصرني يطلب النصر من الله جل وعلا - 00:30:05
ولم يطلب شيئا اخر في هذه الاية قال انصرني بسبب تكذيبهم اياك فسارع الله جل وعلا بنصره وتأييده. كما سيأتي في الايات اللاحقة ان شاء الله. والله اعلم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده - 00:30:29
رسول نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:30:56